دور القنوات الفضائية الإسلامية في تعزيز الموقف ضد التكفير لدى الشباب: دراسة نظرية كيفية

الدكتور محمد مراح

تنطلق هذه الدراسة من ملاحظات ومعطيات واقعية أهمها: أن النزوع للتكفير لدى الشباب المتدين يقتصر على فئة قليلة منهم، ومع هذا فإن سهولة انقيادهم لترجمة أفكارهم التكفيرية ومترتباتها العملية بالسير في دروب الضلالة والانخراط في التيارات والسبل التدميرية تغري أصحاب المشروعات التخريبية والمغالية في فهم النصوص الدينية على غير وجهها المشروع، يجعلهم فريسة سهلة الوقوع بين أيديهم، فيتخذون منهم مادة توجه وتعجن بمقاسات أهداف تلك الجهات التي نذرت نفسها لها، وهذا يُحول ضعف قلتهم إلى قوة تأثيرية صانعة لواقع يقض مضاجع الآمنين، ويدفع بالإسلام إلى واجهات الأحداث العالمية من خلال ما يأتون من أفعال وتصرفات.

تتمتع القنوات الفضائية الإسلامية المعتدلة الحاملة للفكر المعتدل الوسطي بمكانة محترمة لدى المشاهد في العالم العربي، وتدل على ذلك النسب المرتفعة من المشاهدة التي تسجلها هذه القنوات بصورة مطردة سنويا، مما يعول عليها في دور ريادي إصلاحي توجيهي تغييري من اتجاهات وسلوكيات الفئات الشابة التي قد تعرض لها خطابات الغلو والتشدد التي تفضي في أكثر أحوالها إلى السقوط في هاوية تكفير الآخرين من غير بينة ولا أهلية علمية تسند أصحابها لبلوغ منازل المفتين الثقات.

لذا اخترنا أن يكون بحثنا حول "دور القنوات الفضائية الإسلامية في تعزيز الموقف ضد التكفير لدى الشباب" باعتبار ذلك حالة نفسية تتلبسها النزعات الفكرية والتضليلات الأيديولوجية وبالتالي فمخطط البحث هو:

أولًا: مشاهدة ومكانة القنوات الفضائية الإسلامية لدى الشباب.

ثانيًا: صياغة القنوات الفضائية الإسلامية فكر وسلوك الشباب بما يعزز الموقف ضد التكفير.

وقد تجنبنا الخوض في أحكام التكفير الفقهية، لكون الدراسة إعلامية تحديدا، ولعدم تخصص صاحب الدراسة في الفقه وأصوله. لكن يمكن القول بأن التكفير المقصود هنا: هو النزوع إلى وصم المخالفين بالكفر لشبهة ما أو مخالفات غير مجمع على إخراج صاحبها من الملة، فضلا عن الغلو في التكفير الجماعي أوالمجتمعي جملة. وقد اتبعنا المنهج الاستقرائي والاستنباطي للتراث النظري والكمي ذي الصلة بالموضوع.

أما بالنسبة للدراسات السابقة، فلم يحظ الموضوع رغم أهميتها بالبحث العلمي الذي يشخص وينقد ويقدم المقترحات، وما قدم لا يزيد عن توجيهات عامة حول ضرورة التصدي لظاهرة التكفير بعدم شرعيته والتصدي له، وتصحيح النظرة حول الإسلام، بينما حظي تقصي الأسباب والعوامل والوسائل بعناية أكثر[1].

أولًا: مشاهدة ومكانة القنوات الفضائية الإسلامية لدى الشباب:

من المؤكد أن أكثر وسيلتي اتصال جماهيري الآن في عالمنا العربي والإسلامي هما: التلفزيون وشبكة الاتصال الدولية (الإنترنت)، وإذا كانت الثانية أحدث نسبيا في اعتمادها وسيلة اتصال جماهيري وأخذها في الانتشار والتوسع السريع بين الفئات الشابة على وجه الخصوص، فإن التلفزيون لا يزال يحتفظ بمكانته، خصوصا بعد الانتشار الواسع الذي بدأ يحققه عبر المحطات الفضائية بشكل مباشر عن طريق الأقمار الصناعية، وهذا يبدو جليا بما يلي:

حصرعدد القنوات الفضائية العربية وتصنيفها:

بلغ عدد الهيئات العربية التي تبث أو تعيد بث قنوات فضائية حوالي 776 هيئة منها 26 هيئة عمومية باعتبارها هيئات الحكومات المحلية بدولة الإمارات العربية المتحدة... و750 هيئة في القطاع الخاص، جدول:

مجموع الهيئات:	القطاع العمومي: 26
776 هيئة	القطاع الخاص: 750

وتبث هذه الهيئات وتعيد بث 1320 قناة تلفزية من بينها: 168 قناة عمومية و1152 قناة خاصة متعددة

1- انظر مثلًا: سامي الشريف، "الفضائيات الدينية وظاهرة التكفير: دعم أم مواجهة". شبكة الأمن الفكري بالنسبة للحالة الأولى، ورضا عبد الواجد أمين، "دور وسائل الإعلام في الترويج للأفكار التكفيرية"، amnfkri.com

اللغات ومتنوعة التخصص.

أصناف القنوات	القطاع العمومي	القطاع الخاص	الجملة
القنوات الجامعة	67 ق	254ق	321 ق
قنوات المنوعات الغنائية	01	123	124
قنوات الدراما (أفلام المسلسلات)	11	140	151
القنوات الرياضية	41	135	146
القنوات الدينية	11	84	125
القنوات الإخبارية	05	61	66
قنوات الأطفال	02	21	23
القنوات الثقافية	7	03	19
القنوات الوثائقية	02	61	63
القنوات التعليمية	16	18	25
قنوات الأسرة	01	15	16
قنوات السياحة	ـــ	04	04
القنوات الاقتصادية	03	17	20
قنوات ربحية	ـــ	210	210
اختصاصات أخرى	01	06	07
المجموع	168	1152	1320

تستخدم القنوات العربية في بثها الفضائي ما لايقل عن 17 قمرا اصطناعيا: في مقدمتها: عرب سات، نايل سات، نور سات. إضافة للباقة العربية الموحدة لتغطية كامل الكرة الأرضية.

ويستخدم إلى جانب اللغة العربية واللهجات المحلية، الإنجليزية والفرنسية، ولغات إقليمية كالفارسية والعبرية والهندية والإسبانية والتركية. فضلا عن لغات ولهجات الأقليات الإثنية كالكردية والمازيغية والأوردو[2].

2- راجع: "البث الفضائي العربي: التقرير السنوي 2012م ـ 2013م". إصدار اتحاد إذاعات الدول العربية. www.etihad.com.

وفي إطار ذلك تفاعل المهتمون بتطوير التلفزيون وخصوصا القنوات الفضائية باعتبارها أكثر صوره تطورا وحداثة لاستحداث أنواع منها تعبر عن روح التطوير والتجاوب شكلا ومضمونا مع مقتضيات حاجات الجمهور ومتطلبات العصر المعقدة[3]، فاهتدت لفكرة القنوات المتخصصة بعد أن كانت القنوات جامعة شاملة، بغض النظر عن نوع ملكيتها عمومية رسمية أي تتبع الجهاز الحاكم في الدولة، وبالتالي لا تتجاوز في تعبيرها ووجهة نظرها المعروضة النظام الذي يملكها ويضمن لها الاستمرار والتمويل، أو قناة خاصة تملكها جهة ما فردا كان أو جماعة أو مؤسسة.

مفهوم القنوات الفضائية المتخصصة وتصنيفها[4]:

يعرفها المنصف العياري بأنها "تقابل القناة الجامعة أو الشمولية، وهي التي تخلت عن شمولية المضمون والمقصد لتختص في مجال برامجي منفرد، أو للتوجه إلى جمهور محدد... إن القناة المتخصصة هي التي تركز اهتمامها على فرع واحد من فروع التخصصات التي يهتم بها نوع من الجمهور"[5].

وبناء على هذا المفهوم صنفها إلى:

- قنوات تتوجه إلى جمهور مقسم حسب سنوات العمر أو مراحله مثل قنوات الأطفال. قنوات تتوجه إلى جمهور مقسم حسب الجنس كأن تتوجه إلى جمهور المرأة، قنوات تتوجه إلى جمهور حسب انتماءاته الدينية أو الأيديولوجية، قنوات تخصص في الاهتمام بهوايات الفرد أو أنشطته الفردية مثل الاهتمام بالرياضة أو الموسيقى أو الصيد، قنوات ذات اتجاهات ثقافية وفنية وتهتم بالمجالين الثقافي والفني بمفهومه الواسع، قنوات إخبارية[6].

وعلى نحو أميل للاختصار ذهب عاطف العبد إلى تصنيفها حسب الشكل الذي تتخذه، لذا فهي أحد شكلين هما: قنوات متخصصة في المضمون الذي تقدمه، وهي قنوات نوعية معينة من المواد والبرامج المتخصصة، ولكنها تستهدف جمهورا عاما غير محدد. وقنوات متخصصة في الجمهور الذي

3- عاطف العبد، **الإعلام والمجتمع**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2006م، ص 12.

4- يراجع في بحث عوامل نشأة القنوات المتخصصة، والمستجدات المصاحبة لها: عاطف العبد، **القنوات المتخصصة**، فيروز المعادي، القاهرة، ط1، 2006م، ص 7-12، والمنصف العياري ومحمد عبد الكافي، "القنوات التلفزيونية العربية المتخصصة"، اتحاد إذاعات الدول العربية، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية، (56) تونس، 1427هـ/ 2006م، ASBU.net ملف pdf، ص 11- 15.

5- المنصف العياري، **القنوات التلفزيونية العربية المتخصصة**، ص 12.

6- المرجع نفسه.

تخاطبه، وهي قنوات تستهدف الوصول إلى قطاع معين ومحدد من الجمهور الذي تجمعه خصائص وسمات مشتركة، وتقدم مواد منوعة تلائم تلك الخصائص والسمات[7].

فأين موقع القنوات الفضائية الإسلامية من هذه المفاهيم والتصنيفات؟

فهي حسب عاطف العبد ضمن الشكل الثاني، أي القنوات المتخصصة في الجمهور الذي تخاطبه[8]. أما العياري فيدرجها ضمن ما سماه القنوات الأيديولوجية والدينية، وهي: "قنوات ملتزمة بنهج عقائدي ولا تخرج عنه في كل ما تقدمه إلى مشاهديها من متبني العقيدة أو المذهب أو الخط الأيديولوجي. وتعمد هذه القنوات إلى معالجة القضايا المطروحة بطرق شتى قد تكون سردية أو حوارية أو درامية أو وثائقية، ولكنها في كل الأحوال، لا تحيد عن التخصص العقائدي، ولا تنظر إلى المسائل إلا من منظار ما تدعو إليه"[9].

وعليه "فبرامج هذه القنوات دينية صرفة، وقد تصبغ برامجها صبغة دينية تجعلها تكيفها حسب هذا المعتقد أو ذاك، كأن نجد في قناة معالجة لمشاكل الأسرة وفق رؤية الدين الإسلامي"[10].

يلاحظ على هذه التعريفات والتصنيفات ما يأتي ذكره:

- تأثرها بالنظرة المحدودة لمفهوم "الدين" كما هو شائع في الدراسات الإنسانية والاجتماعية الحديثة والمعاصرة المصطبغة بالصبغة الغربية، وروح الفلسفة الغربية والمادية التي إما أن تفصل الدين عن الحياة والمادة، أو تحصره في ركن قصي. والدليل على هذا إدراج التعريفات السابقة القنوات المسيحية ضمن القنوات المتخصصة كالقنوات الإسلامية[11] وهذا الاتجاه لا يتفطن أو لا يعنيه أن يدرك الجذور الفلسفية التي توجه المفاهيم ومنها "الدين".

إن إدراج القنوات الإسلامية ضمن القنوات الأيديولوجية قد ينطبق على القنوات المذهبية أو الطائفية المتلفعة بأردية الإسلام، خصوصا إثر انفتاح السماء العراقية بسيل هادر من هذا النوع من القنوات، وهذه حالة تستحق الدراسة للفصل فيما هو منها إسلامي بالمفهوم الرحب للإسلام، وما هو مذهبي طائفي فيستثمر الإعلام الفضائي الدين لأهدافه المحددة مسبقا باستراتيجيات ليس هو سوى جزء

7- عاطف العبد، **الإعلام والمجتمع**، ص 8، 9.

8- المرجع نفسه، ص 9.

9- العياري، **القنوات التلفزيونية العربية المتخصصة**، ص 12.

10- المرجع نفسه، ص 12.

11- انظر: العبد والعياري، المرجعين السابقين.

من مسارها وتنفيذها بإحكام ودهاء.

ما سبق ملاحظته يقف وراء تصنيف القنوات الفضائية الإسلامية ضمن القنوات المتخصصة الدينية أو الأيديولوجية، فليس هناك تحقيق في المناط كي يستقيم التصنيف، ويستبين المفهوم.

كل هذا يقتضينا بيان مقصودنا من القنوات الفضائية الإسلامية، فهي التي تتأطر بقيم الإسلام وأحكامه الشرعية السمحة، في كل موادها الإعلامية سواء أكانت قناة جامعة أو متخصصة في جمهور محدد "كقنوات الأطفال"، أو برامج محددة كقنوات الأناشيد والمديح الديني، وسواء أكانت عمومية تابعة للقطاع العام (الدولة) أو خاصة. فالذي يمنحها ـ إذن ـ صفة "القنوات الفضائية الإسلامية" هو مدى مراعاتها وتمثلها لمبادئ وقيم وأحكام ورسالة الإسلام، المنبسطة على أدائها الإعلامي شكلا ومضمونا.

ولهذا فليس بالضرورة مثلا أن تكون القناة الفضائية مملوكة لجهة إسلامية معينة خاصة حتى تكون قناة إسلامية، بل قد تعكس قناة جامعة تابعة لدولة إسلامية طابعها ونهجها الإسلامي، وبالتالي تشملها الصفة الإسلامية تبث إعلاما ذا خطاب إسلامي.

مشاهدة القنوات الفضائية الإسلامية:

تمثل "الرسائل الدينية" التي تحملها وترسلها وسائل الإعلام الجماهيرية "عنصر جذب" بصفة مطردة في الدراسات الكثيرة التي أجريت سواء على الجمهور أو المضمون أو حتى القائمين بالاتصال.

وهذه النتيجة التي تواترت الدراسات على تأكيد ثباتها وتكرارها، لم تظهر مع ظهور وتطور الأقنية التلفزية الفضائية في الساحة العربية، وما صاحبها من تطور وإبهار في تكنولوجيات الاتصال، وفنون الإخراج و بهارج قاعات العرض والتقديم (الاستوديوهات). بل نجد الانجذاب نحو الرسائل والبرامج الدينية الإسلامية ذا نسب عالية، وحضور طاغي على سبر ودراسة متابعة وتقدير الآثار التي تتركها تلك البرامج في قراء الصحف والمجلات الإسلامية والإذاعات خصوصا إذاعات القرآن الكريم، ثم التلفاز قبل وبعد ظهور الأقنية التلفزية الفضائية. .

فقد أسفرت نتائج دراسة "البرامج الدينية في التلفزيون المصري" على عينة من طلبة جامعات: الأزهر، القاهرة، والأمريكية بالقاهرة ـ عن نسب مرتفعة لتعرض الطلاب لإذاعة القرآن الكريم تفوق تعرضهم لمصادر عديدة أخرى كالكتاب، المجلة، الشريط وغيرها، فقد "قرروا أنهم يتعرضون لإذاعة القرآن

الكريم، ويستمعون لبرامجها وما تقدمه من مواد دينية"[12]، ورغم أثر التعليم الأزهري أي نمط التعليم لدى طلبة الأزهر في ميل نسبة التعرض بقوة لبرامج إذاعة القرآن الكريم حيث كانت نسبة التعرض على التوالي 96٪ طلاب الأزهر، 90.40٪ طلاب جامعة القاهرة، و 56.7٪ طلاب الجامعة الأمريكية ذات التعليم العلماني، فبرغم من الفوارق الجوهرية في النسب، فإن التعرض لهذه الإذاعة بشكل عام بين طلبة الجامعات الثلاث مرتفع، مما يشير إلى مكانة إذاعة القرآن الكريم في نفوس الطلبة الجامعيين عينة الدراسة"[13].

ولم تتغير النسب سلبا بتغير الوسيلة الإعلامية، فقد أثبتت الدراسة النسبة المرتفعة لتعرض الطلبة للبرامج الدينية التلفزيونية، أي نسبة 81٪، "وهي نتيجة على درجة كبيرة من الأهمية حيث تشير إلى اتجاه إيجابي قوي نحو البرامج الدينية بالتلفزيون باعتبارها مصدرا من مصادر التثقيف الإسلامي. وهي نتيجة تؤكد نتائج دراسات سابقة توصلت إلى أن البرامج والفقرات الدينية تأتي في مقدمة تفضيلات طلبة الجامعة قبل البرامج والفقرات التلفزية الأخرى... وتتفق مع معظم بحوث المستمعين والمشاهدين التي أجراها اتحاد الإذاعات والتلفزيون التي أثبتت صدارة البرامج والمواد الدينية للبرامج والمواد الأخرى من وجهة نظر العينات المبحوثة"[14].

وقد زاد تغير البيئة الاجتماعية والجغرافية قوة وصدارة البرامج الدينية تأكيدا، فقد أكد وقرر الشباب السعودي في دراسة لمركز أسبار[15] حول "تعرض الشباب السعودي للفضائيات" أن البرامج الدينية تحظى بجماهيرية عالية في المجتمع السعودي[16].

كما أكدتها دراسة مماثلة للمركز نفسه حول "تدين السعوديين"، نسبة لا يستهان بها بلغت زهاء 37٪ يشاهدون البرامج الدينية بانتظام، ونسبة أعلى بلغت نحو 43٪ يشاهدونها أحيانا، و 14٪ يشاهدونها ولكن نادرا، أما الذين لا يشاهدونها قد كانت نسبتهم منخفضة للغاية، إذ هي بحدود 4.8٪، ما يؤكد جانبا من نزعة التدين لدى السعوديين، وميلهم للثقافة الدينية التي تقدمها البرامج الدينية،

12- عادل فهمي البيومي، "البرامج الدينية في التلفزيون المصري ودورها في التثقيف الديني للشباب"، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 1412هـ/ 1999م، ص 328.

13- المرجع نفسه، ص 328.

14- المرجع نفسه، ص 230.

15- أسبار: تأسس مركز أسبار للدراسات والبحوث والإعلام 1994م، استجابة لحاجة البحث العلمي، ودعما لصانع القرار "السياسي والاقتصادي والاجتماعي"، ليستند إلى أرضية صلبة ومتوازنة. www.asbar.com

16- أسبار، "تعرض الشباب السعودي لوسائل الإعلام وأدوات الثقافة"، دراسة ميدانية، ج 1، ص 28.

ولاسيما أن بعضها برامج إفتاء، تجذب شرائح واسعة من الجمهور، ناهيك عن البرامج التي تتناول قضايا العصر ومستجداته من منظور إسلامي"[17].

فالملاحظ أن المنتج الإعلامي السليم يستمد حظوظ قبوله من سمة المجتمع الذي يتوجه إليه بخطابه عبر رسائله المتنوعة من جهة، كذا يبادل المجتمع تلك الوسائل والرسائل التفاعل إيجابيا معها، كلما خاطبته تلك الوسائل وهي مراعية التأثير فيه "معرفة واتجاها وسلوكا"، بعناصر ومكونات الرسائل الإعلامية المتناغمة مع خصائصه.

"فالتدين" المتجذر في المجتمع العربي الإسلامي وإن بدا أحيانا كثيرة شرود واسع عنه هو التفسير الحقيقي والواقعي لظاهرة التجاوب مع الإعلام ذي الرسائل والمرامي الدينية الإسلامية. وكلما علا منسوب خصيصة التدين في رقعة من بلاد الإسلام صاحبها ارتفاع النسبة التي يحصل عليها دارسوا تأثير الإعلام في متلقيه ومستهلكيه، فتشير دراسة "تقدير الشباب السعودي للالتزام الديني عند فئتهم" إلى أن المجتمع السعودي محافظ ومتدين عموما، مما يعطي دلالة مهمة حول أهمية البعد الديني في حياة الشباب، وهذا يوجب الاهتمام والعناية به عبر البرامج المجتمعية المتعددة[18].

نخلص مما سبق إلى النتائج والملاحظات الآتية:

أن الدراسات والبحوث الإعلامية السليمة والصادقة هي التي تسبق موضوعات بحثها، وقبل التفكير في عيناتها واختيارها قصدا أو عشوائيا بدراسة وتحديد الخصائص الاجتماعية لمجتمع الدراسة كي يتاح لها الدراسة من الداخل، دون شدة الكلف بالنماذج والنظريات الإعلامية التي صاغها وصممها أصحابها على ضوء دراسات وبحوث حول خصائص وسمات مجتمعات المبحوثين والباحثين، "فينبغي الاحتراز مما يسمى بالدراسات الميدانية في ميدان البحث العلمي الإعلامي خاصة إذا كانت لا تربط بمنطلق (عامة) أو بمنطلق لها أي في إطار مجتمع أو حضارة معينة. هذه الدراسات المسماة بالميدانية خاصة لما يتعلق الأمر بتحليل مضمون أو شبه نص إعلامي أو دراسة جمهور عادة ما تعيد إنتاج جزء من الواقع، وفي معظم الأحيان بصفة شبه مشوهة بحكم غياب المنطلق والتمثيل (أي العينة الممثلة) ولكنها لا تستطيع في حال انعدام المقاييس النظر في هذا الواقع أو تعديله أو تغييره أو الحكم عليه"[19].

17- أسبار، "تدين السعوديين"، ج 1، ص 54.

18- أسبار، "تقدير الشباب السعودي للالتزام الديني عند فئتهم"، ص 5.

19- عبد الرحمن عزي، **الفكر الاجتماعي المعاصر والظاهرة الإعلامية الاتصالية**، دار الأمة، الجزائر، ط1، 1995م، ص145.

فالتحدي إذن في بحوث ودراسات الإعلام كباقي العلوم الاجتماعية والإنسانية في المجتمع العربي والإسلامي، يطلب رفعه ومواجهته على وجهين هما: إبداع وابتكار النماذج والمقولات والنظريات الإعلامية النابعة من أرض مجتمع البحث والدراسة، وإجراء البحوث الميدانية والتطبيقية على المرسل والمتلقي والرسالة باعتبارها الرابطة الإعلامية بينهما في سياقها المجتمعي.

تزيد النتائج المذكورة من قوة اعتقادنا وقناعتنا باعتبار "العامل الديني الإسلامي" هو محور ومركز قوة الارتكاز لكل مشروع أو برنامج لمواجهة أو معالجة المشكلات والقضايا والمستجدات الطارئة في المجتمع الإسلامي، وأن تجاهل هذا العامل ومحاولة القفز عليه تحسم نتيجته الهزيلة وغناءه المحدود، فاستخدام الأبعاد الدينية في تقويم المجتمع وسلوكه والتعامل مع مشكلاته، يعد أسلوبا فعالا ومفيدا، ويمكن أن يحقق نموا كبيرا[20].

والإعلام هنا حيز معرفي ومثير معتبر في مشروعات المواجهة والوقاية، وتعديل في المعرفة والاتجاه والسلوك، لدى فئات خاصة أو جمهور معين أو عموم الجمهور، خصوصا مع مقتضيات أزمة وطروء طارئ يجهد الجسم السليم لطرده، فيبدي هو المقاومة ويصر على الانتشار.

تنبع ظاهرة "التكفير" من فهم ونظرة مشوهة غير سوية وغير صحيحة لأحكام ومقاصد الشريعة الإسلامية، فهي بالتالي ظاهرة دينية منحرفة غير سليمة، لذا فإن معالجتها على كل المستويات ومن كل الجوانب بعيدا عن "المعامل، العامل الديني الإسلامي" مآلها الفشل، لهذا فإن استحضار الإعلام الإسلامي لساحة المعالجة والتفاعل المدروس معها وآثارها، من باب وضع الشيء في موضعه، وهي الحكمة الإعلامية في سياق ما نحن بصدد معالجته.

"والحقيقة أن الإعلام الإسلامي هو المنبر الأكثر قدرة على معالجة قضايا التطرف الديني بشكل خاص، إذا ما أتيحت له فرصة العمل في أجواء مفتوحة بحرية أوسع وآفاق أكثر رحابة، وذلك أنك حتى تستطيع معالجة قضايا معقدة، مثل التطرف الديني أو الإرهاب المتمسح بالإسلام، فإنك لا بد وأن تمتلك مصداقية لدى المتلقي، وبدون أن تمتلك مثل هذه المصداقية لا يمكن لرسالتك الإعلامية أن تؤتي ثمارها أو تحقق مرادها"[21].

20- أسبار، "تعرض الشباب السعودي للفضائيات واستخداماتهم للإنترنت"، دراسة ميدانية، ج 2، ص 28.

21- جمال سلطان، "الإعلام وتحدي الوسطية"، مؤتمر: الوسطية منهج حياة، المنعقد بالكويت خلال الفترة، 13- 15 ربيع الآخر، 1426 هـ الموافق 21- 23 مايو، 2005م.

ثانيًا: صياغة القنوات الفضائية الإسلامية فكر وسلوك الشباب بما يعزز الموقف ضد التكفير:

يعد التراث الإعلامي الإسلامي السابق لظهور القنوات الفضائية رصيدا ثمينا تبنى عليه الجهود الإسلامية الإعلامية التي تبتغي مواصلة المسيرة الدعوية بوسائل الإعلام المعاصرة المتاحة، لهذا فإن القبول الاجتماعي القوي للبرامج والمنتجات الإعلامية الإسلامية في المرحلتين أي قبل ثم بعد ظهور الفضائيات الإسلامية ينبغي أن يستثمر استثمارا واعيا وفعالا في توجيه فكر وسلوك الشباب بما يعزز الموقف ضد التكفير خاصة إذا سلمنا بأن الظاهرة محدودة عدديا بين الشباب تحديدا.

إن أداء إعلاميا إسلاميا واعيا ونوعيا تقدمه القنوات الفضائية الإسلامية يمكن الاطمئنان والوثوق بإذن الله تعالى في تحقيقه ثمارا طيبة تحفظ على الأمة زهرة شبابها من الانسياق وراء ضلالات التكفير والمراهنين على استثماره ليكون مقدمة لصناعة جنود وجحافل الإرهاب ومروعي الآمنين.

وسوف نعرض نظرتنا حول مساهمة الفضائيات الإسلامية في صياغة فكر وسلوك الشباب بما يعزز موقفه ضد التكفير من خلال العناصر الآتية الذكر:

- الشباب طاقة ومحور التماسك الاجتماعي.
- دخول القنوات الفضائية الإسلامية إلى واقع وحياة الشباب.
- رؤى ومقترحات حول برامج وأداء القنوات الفضائية الإسلامية في التحصين ضد التكفير.

1- الشباب طاقة ومحور التماسك الاجتماعي:

يقول عالم الاجتماع العربي الدكتور حسن ساعاتي: "لا مراء في أن الشباب طاقة وحيوية متدفقة متجددة. ولا شك في أن الشباب طاقة هائلة محركة، ذلك لأن الطاقة قوة، وكل قوة يصدر عنها فعل، والفعل حركة والحركة انتقال في الزمان والمكان، وعامل رئيسي في التحول والتغيير"[22].

هذه الحركة التي تصنع التغيير ونوعه لا مراء كذلك في أنها طريقة إيجابية مثمرة، مصرفة لنوازع التحطيم والهدم والتشتيت والتبديد الاجتماعي، والمخطط الإعلامي واحد من المعنيين باستحضار هذا الهدف الثمين فيما يرسم من برامج ومادة إعلامية، باعتبار التماسك الاجتماعي من وظائف الإعلام، و"ذلك من خلال الشرح والتفسير والتعليق على الأفكار والأحداث والمعلومات، ثم تدعيم الضبط الاجتماعي والمعايير الخاصة به، كذلك التنشئة الاجتماعية"[23].

22- ساعاتي حسن في "الشباب طاقة محركة خلاقة كيف توجه؟"، ندوة، بيروت لبنان، د.ت. ص 35.

23- منال أبو الحسن، **علم الاجتماع الإعلامي**، دارالنشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2006م، ص 94.

ولذا يعتبر العمل الإعلامي على تنوعه عملا حواريا مباشرا وغير مباشر مع العقل والسلوك والعواطف، تنعكس آثاره في التربية الإعلامية والتطبيع الاجتماعي، "مما يؤدي بالأفراد إما إلى الإيمان بضرورة التلون والتغيير ومجاراة ومسايرة القيم والاتجاهات الجديدة مهما كان ذلك على حساب قيمهم واتجاهاتهم التقليدية، وإما يؤدي بهم إلى الانخراط في سلسلة متعاقبة من الصراعات والتوترات التي قد توجه إلى الخارج في حالات قليلة، أو إلى داخلهم كما يحدث في غالب الأحيان"[24]، وفي كلتا الحالتين فالمسرح الاجتماعي هو ساحة العرض التي تبدو فيها مخرجات تلك المؤثرات والموجهات، خصوصا لدى الفئة الأسرع استجابة والأكثر تأثيرا ورسم وصناعة المشهد الاجتماعي، وكلما ارتفع منسوب كتلتها العددية وضحت قوة التأثير في صورة الواقع. ومن المؤكد أن قوة الطاقة الحية المتحركة، الشباب عربيا هي كذلك، ويرتبط هذا أيضًا بحقيقة الهندسة البشرية، إذ هي "عملية جد معقدة، بل إنها لأعقد بكثير من الهندسة المادية لأن للبشر عقولا ونفوسا تتطلب ممن يتعامل معهم قدرًا كبيرًا من الخبرة والحكمة والمرونة"[25]. فالقائم على إنتاج الخطاب الإعلامي أحد المعنيين بدقة وحساسية من يوجه لهم خطابه الإعلامي المباشر أو الإيحائي. وتعد قضيتنا التي نقاربها في هذا المقام وهي "قضية التكفير" من بين المسائل والقضايا التي تنطبق عليها الأوصاف وتسرى عليها الأحوال التي ذكرنا مما يستدعينا إعلاميا مواجهتها على الأنحاء الآتية: احتواء، ووقاية، تعويضا، تقويما وتأطيرا وفق الحقيقة الشرعية الإسلامية.

2- دخول القنوات الفضائية الإسلامية إلى واقع وحياة الشباب:

يكون هذا الدخول بالنسبة لقضيتنا من خلال المداخل المذكورة آنفا على التفصيل الآتي:

الاحتواء والوقاية:

- ضمن الهدف الرسالي لهذه القنوات كسائر الوسائل الإعلامية الإسلامية الدعوية بتحميل الرسائل الإعلامية الموجهة للشباب من الوقائع المرتبطة بنتائج الفكر التكفيري من الاستدراج والوقوع الحتمي في مطب وخطيئة الإرهاب غير المقبول شرعا، وما ينجر عنه من مفاسد في الدين والدنيا. وهو ما تنبهت له إحدى الدراسات الميدانية اقترح فيها الباحثون جملة من المقترحات الفاعلة والعملية مما يساعد على احتواء والوقاية من خطر التكفير والتلبس بنتائجه المظلمة على الواقع الإسلامي، وامتداداته في الساحة الدولية، فقد اقترحوا: الاهتمام من خلال البرامج والمواد المختلفة بتقديم الصورة

24- أحمد موسى، **الشباب بين التهميش والتشخيص**، المكتبة العصرية، مصر، ط 1، 2009م. ص 102.

25- ساعاتي، "الشباب طاقة محركة خلاقة كيف توجه؟"، ص 36.

الصحيحة للإسلام وبالتحديد البرامج الدينية، لتوضيح نبذ الدين للإرهاب، مع مواجهة الفكر المتطرف من خلال علماء دين مستنيرين التقييم المستمر لبرامج ومواد القنوات الفضائية لتنقيتها من أي برامج تساعد على التطرف، وكذلك مراجعة البرامج التي تعالج هذه الظاهرة إعداد برامج للشباب لتوعيته بخطورة الإرهاب، مع الاهتمام بتفسير هذه الظاهرة[26].

- إن هذا الربط المقصود بين التكفير ونتائجه الوخيمة ليعد من أفضل الأساليب الإعلامية احتواء للشباب من اعتناق هذا الفكر، خاصة إذا حملت الرسائل والمواد الإعلامية إشارات صريحة وضمنية ما يؤكد تلك العلاقة الحتمية بينهما مصحوبة بالصور المرعبة والآثار المدمرة في الواقع واستحضارا للتجارب والوقائع، ثم أثر كل ذلك على ما يعتقدون أنه نصرة لحقيقة دينية ومبدأ عقدي، فتصير صورته أي الإسلام عرضة للنيل من نصاعته الحقيقية وقدسيته الأزلية، وهو ما يمكن التعبير عنه بمعنى آخر: بيان فشل المشروع الذي انساق إليه التكفيريون واستسهلوا الفناء والإفناء لأجله، باعتقادهم أن غاية ما يأتون وما يعتقدون هو نصرة الإسلام والاستشهاد في سبيله، والعودة به إلى الساحة مهيمنا على الناس.

- يمكن للقدرة التأثيرية التي تحملها البرامج والمواد الدينية الإسلامية أن تقي الشباب من الانجراف وراء دواعي التكفير والاستماع إلى دعاته ومحترفيه من التيارات والسبل التدميرية، بتغييرها بعض الآراء وتغييرها تجاه قضايا الحياة المختلفة بما تقتضيه مبادئ الثقافة الإسلامية. وقد تبين من نتائج تحليل بيانات دراسة البيومي عن البرامج الدينية..." أن الطلبة الجامعيين عينة الدراسة قرروا بنسبة 62.4٪ أن البرامج الدينية استطاعت أن تغير آراءهم تجاه أمور محددة في حياتهم"[27].

- وتوخيا للفعالية الإعلامية في الاحتواء والوقاية، تعمد القنوات الفضائية الإسلامية إلى برامج المشاركة التي تعد إحدى ركائز الاتصال الإقناعي المفيدة والناجحة "فالمناقشة الجماعية من أفضل الأشكال التي يمكن استخدامها لإيجاد حلول للموضوعات، ومناقشة القضايا عن طريق التفكير الجماعي الذي يشارك فيه الشباب، بالإضافة إلى المتخصصين"[28]. وغني عن البيان أن هذا اللون من البرامج

26- هويدا مصطفى، "دورالقنوات الفضائية العربية في تشكيل معارف الجمهور واتجاهاته نحو الإرهاب". سلسلة بحوث ودراسات إذاعية 63، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، 1429هـ/ 2008م. موقع اتحاد الإذاعات العربية، ASBU.net ملف pdf.

27- عادل فهمي البيومي، "البرامج الدينية في التلفزيون المصري ودورها في التثقيف الديني للشباب"، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 1412هـ/ 1999م، ص 370.

28- منى الحديدي وسلوى إمام علي، **الإعلام والمجتمع**، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 2004م، ص218.

أصبح من أكثرها شيوعا وتنافسا بين القنوات التلفزية على اختلافها لما لمست فيه من نتائج باهرة سواء من ناحية جذب الفئات المستهدفة، أو العائد على سمعتها ومكانته الإعلاميتين، وما تبنيه من جسور مع المجتمع، والجهات الحكومية المعنية بالشأن السياسي والاقتصادي والاجتماعي وغيرها.

التعويض:

من المفيد للقنوات الفضائية الإسلامية وهي تعمل على الدخول إلى واقع وحياة الشباب أن تفكر فيما تعوضهم به عن التفكير والانشغال بأوهام الفكر التكفيري، وذلك مثلًا: "عن طريق إحساس الشباب أن هناك منفعة ما تعود عليهم من خلال تعرضهم لبرامجهم، وأنه يتم إشباع بعض الحاجات نتيجة لهذا التعرض... ولكي تحقق هذه المنفعة، فمن الضروري أن تتناول برامج الشباب القضايا التي تمس حياة الشباب وتشغل اهتمامهم، وأن تتصدى لها بالمعالجة والتحليل. ويمكن أن تتحقق المنفعة أيضًا من خلال معرفة الاحتياجات النفسية للشباب، والعمل على إشباعها من خلال برامجهم، ويمكن أن تكون هناك جسور اتصال حقيقة بين برامج الشباب وواقعهم الفعلي"[29].

والملاحظ لأداء القنوات الفضائية الإسلامية في هذا الصدد يجد أنها استطاعت أن تدخل إلى عالم الشباب في كثير من القضايا النفسية والتربوية والسلوكية بشكل طيب وواعد بالخير، و تعمل على تطويره وجلب أفضل المتخصصين والبرامج والأساليب والأشكال الإعلامية الأكثر تطورا لساحته. ولكن يبقى عليها أن توسع دائرة الاهتمام بقضايا الشباب بهدف التعويض، إلى الجوانب الأخرى الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية، لأنها فيما يبدو أكثر المجالات جلبا للإشكالات والشبهات وحتى ما يشغل بال الشباب، مما يسهل على المغرضين الاندساس عبره لإرسال الرسائل المفضية للتطرف والغلو والتكفير.

التقويم والتأطير وفق الحقيقة الشرعية الإسلامية:

القنوات الفضائية الإسلامية كسائر وسائل الدعوة الإسلامية إصلاحية يقينا، تلك رسالتها، تأسيا بالقرآن الكتاب الإعلامي الإصلاحي الأكبر، لهذا فهي تعمل على تحقيق مقصد الشارع الحكيم العام من التشريع كما يقول فضيلة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في كتابه **مقاصد الشريعة الإسلامية**: "إذا نحن استقرينا موارد الشريعة الإسلامية الدالة على مقاصدها من التشريع استبان لنا من كليات دلائلها، ومن جزئياتها المستقرة، أن المقصد العام من التشريع فيها هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه، وهو نوع الإنسان، ويشمل صلاح عقله وصلاح عمله، وصلاح ما بين يديه من موجودات

29- المرجع السابق، ص 217، 218.

العالم الذي يعيش فيه"[30]. إن هذا إصلاح اجتماعي، لما أراده الشارع من صلاح أحوال الناس وشؤونهم في الحياة الاجتماعية[31].

وضمن وضوح هذه النظرة تواصل القنوات التلفزية الفضائية الإسلامية اكتمالا لدورها في الدخول إلى عالم الشباب، بتقويمه وتأطيره وفقا للحقيقة الشرعية الإسلامية، دفعا لغوائل الانحرافات على تنوعها ومنها العقائدية والفكرية التي يندرج التكفير ضمنها.

وبيانا لما يسهم عمليا في تحقيق هذا الهدف نقتصر على مسألتين هما:

أ- ربط قضايا الحياة والشباب كلها بالمقصد والحكم الشرعيين، وقد يكون من المناسب في هذا المقام الاستئناس بما تنبه إليه بعض التربويين المهتمين بتربية الشباب وقضاياهم من غير المسلمين، يقول الأمريكي دورتي "لا بد على رجال الدين الاهتمام إلى أبعد حد بكل ما يواجهه المراهق من أسئلة، وبكل رغبة يبديها، وكل احتياج يعبر عنه، فلا يدخروا وسعا، حتى يتأكدوا أن المراهقين قد حصلوا على أقصى قدر من المساعدة التي تمكنهم من فهم وتفسير أمور الحياة كلها في مجال التطبيق، من وجهة نظر الدين"[32].

ب- أن تبني خططها البرامجية في استهداف فئة الشباب تحديدا على بيان والتعرف على "محددات الشخصية الإسلامية التي تتوثق من خلالها العلاقة بين الإيمان والعقيدة، وأداء العبادة والسلوك، بما يؤدي إلى وجود المثال الإسلامي في الشخصية المسلمة"[33].

3- رؤى ومقترحات حول برامج وأداء القنوات الفضائية الإسلامية في التحصين ضد التكفير:

نتناولها ضمن العناصر الآتية الذكر:

أ- الجمع بين الاتصالين الشخصي والجماهيري نموذج التأثير الإيجابي الفعال:

يتاح للقنوات الفضائية الإسلامية الاستفادة من الاتصال الشخصي في تحصين الشباب فكريا ونفسيا ضد النزوع والوقوع في التكفير، إذا كان الذين يمارسونه هم قادة الفكر والرأي الإسلامي باعتبارهم "أقدر على التأثير في سلوك الجماهير المسلمة بما يجعلها تتوافق مع أفكارهم انطلاقا من أن هذه

30- محمد الطاهر بن عاشور، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ص 63.

31- المرجع نفسه، ص 64.

32- دورتي، **فن قيادة الشباب**، ص 84، 85.

33- سحر فؤاد، "دور إذاعة القرآن الكريم في التثقيف الديني للشباب الجامعي"، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 1419هـ/ 1998م، ص 349.

الجماهير ترى أن أفكار هؤلاء القادة مستمدة من كتاب الله متوافقة مع سلوك رسول الله صلى الله عليه وسلم، والجماهير المسلمة تأمل أن ترى نفسها وقد نهجت نهج رسول الله في الأقوال والأفعال، وأن تسير على هذا، فهي مهيأة نفسيا وذهنيا لكي تعدل من سلوكها... وهو عامل تفرد لديهم في أثرهم على سلوك الجماهير، لا يتوافر لغيرهم ويختلف عن العوامل المؤثرة التي ذكرها المفكرون والخبراء في دراساتهم وأبحاثهم العلمية"[34]. خصوصًا إذا كانت ممارسة هذا العامل المؤثر في وسط اجتماعي نزعة التدين فيه قوية.

ولاستغلال أمثل لهذا العامل المتفرد تسخره القنوات الفضائية الإسلامية لكونها أدوات اتصال جماهيري، فتجمع بين الاتصالين الشخصي والجماهيري باعتباره نموذجا للتأثير الإيجابي الفعال، "فسيظل الاتصال الشخصي المباشر بين الجماهير والدعاة هو الوسيلة المثلى للتأثير، مهما تطورت الوسائل الجماهيرية، نظرًا لتميزه بالقدرة على التفاعل والتجاوب مع متطلبات الموقف الاتصالي، ولكونه يساعد بصورة أفضل على تعرف المشكلات وعوائق الدعوة، وبالتالي يأتي التخطيط للمواجهة أفضل.

ونظرًا لسعة انتشار الاتصال الجماهيري وإمكانية الاستفادة من أحاديث كبار رجال الدين (علماء الإسلام أنسب وصفا) على نطاق واسع، كان من الضرورة اعتماد نوعي الاتصال معا، بالقدر نفسه من الاهتمام، لما يحققه هذا التكامل من ذيوع أوسع وتأثير أعمق"[35].

وتأكيدًا للقوة التي يتمتع بها الاتصال الشخصي الذي يمارسه العلماء والدعاة في الجماهير انتهت دراسة علمية ميدانية لمركز الدراسات "أسبار" حول "نزعة التدين لدى السعوديين" إلى أمر واقع ومهم، وهو "أن نتائج الدراسة ملفتة للانتباه، فقد تبين أن دور الخطباء وأئمة المساجد محوري بل وأساسي في عملية التوعية بخطر الإرهاب والتطرف الفكري، وأن دورهم في معظم الأحيان وفي مختلف مناطق المملكة يفوق دور وسائل الإعلام... من خلال الأثر الإيجابي الذي أحدثوه في الجمهور. فالدراسة كشفت أن نسبة كبيرة من الجمهور السعودي يثق في الأئمة وخطباء المساجد، ويثق في دورهم التوعوي. أيضًا كشفت النتائج أن الاتصال المباشر مع الجمهور كما فعل الأئمة والخطباء، يعد أكثر تأثيرا مقارنة بوسائل الإعلام"[36]. إذن، فعلى القنوات الفضائية الإسلامية أن تكون واسطة نقل هذا النوع من الاتصال كما هو على وضوحه وواقعيته، فتجمع بين نوعي الاتصال الشخصي والجماهيري، وتعطيه مساحة أوسع

34- محيي الدين عبد الحليم، **الرأي العام في الإسلام**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1429هـ/ 2008م، ص 256.

35- علي عجوة، **الإسلام وتطوير الخطاب الديني**، رابطة الجامعات الإسلامية، مصر، ط 1، 1423هـ/ 2002م، ص 107.

36- أسبار، "تدين السعوديين"، ج 2، ص 64.

انتشارا، وبالتالي أوفر حظا للتأثير.

ب- إسهام القنوات الفضائية الإسلامية في رفع المستوى التثقيفي والعلمي للجمهور:

خاصة ما تعلق بالمعلومات الدينية التي تلقى إقبالا عليها، خصوصا من ذوي المستوى التعليمي المرتفع[37]. فتعرف الجمهور بدينه، وتصنع معرفته وتوجه تفكيره بصورة إيجابية تحصنه ضد نزغات الضلال والتكفير.

ج- تضييق الفجوة بين الالتزام الديني والانتماء للأسرة والمجتمع:

تناط بالقنوات الفضائية الإسلامية مسؤولية تعزيز الانتماء إلى الأسرة والمجتمع، لكونه من أخص خصائص المجتمع الإسلامي، الذي تجهد وسائل التكنولوجيا المعاصرة للقضاء عليها أو لتضييق حضوره في واقعنا الاجتماعي، فقد أشارت الدراسات إلى أن الوقت الذي يقضيه الفرد مع وسائل الاتصال الأخرى والاتصال الشخصي قد تأثر باستخدام تطبيقات الإنترنت، وإلى ظهور إحلال وظيفي لوسائل الاتصال عبر الإنترنت محل وسائل الاتصال التقليدية كمصدر رئيسي للحصول على المعلومات[38]. وهي كما نعلم من الظواهر السلبية لانتشار هذه الوسائل بدءا من التلفاز إلى الإنترنت. وواحدة من إفرازات العولمة السلبية في واقع الشباب والأسرة، وأن استخدام الإنترنت أصبح يؤدي دور البديل للاتصال الشخصي[39].

فقوة الانتماء للأسرة والمجتمع، ينأيان بالشاب عن الأفكار التي تدعوه للخروج عن المجتمع، والتمرد عليه، والعدوانية نحوه، خصوصا مع حالات الالتزام الديني الشديد، فينظرون نظرة استقلال للالتزام العائلي "فقد يؤدي إلى إيجاد هوة في التعامل بين الفرد وأسرته، حيث قد يميل الشاب إلى الصراع والحدة في التعامل معهم، وقد يؤدي ذلك إلى الانعزال عن بقية أفراد الأسرة واللجوء إلى أشخاص آخرين يوافقونه في التوجه، ودرجة الالتزام خارج إطار الأسرة، وبعيدا عن رقابتها. مما قد يؤدي إلى انحرافات فكرية أو عقدية لدى بعضهم قد تقود إلى تكفير المجتمع... لذا كان لزاما توجيه الأسر لأفضل أساليب

37- أصحاب المستوى التعليمي الأعلى أكثر مشاهدة للبرامج الدينية، يراجع في هذا الجداول 2، 5، ص 34، دراسة أسبار "تعرض الشباب السعودي..." ج 2، مما يشير إلى أهمية هذه المضامين بالنسبة لقادة الرأي عموما، والمفكرين والمؤهلين بشكل عام في المجتمع... وهي تؤكد من جديد أهمية الأبعاد الدينية في حياة الشباب.

38- منال أبو الحسن، "دور شبكة الإنترنت في دعم الحوار الأسري"، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد السابع والعشرون، 2007م، ص 459.

39- المصدر نفسه.

التعامل مع مثل هذه الحالات، وذلك من خلال برامج مدروسة ومعدة إعدادا جيدا، كما يجب توجيه أفراد المجتمع، وخصوصا الطلاب والشباب بأن لا يحقر أحدهم عمل الآخرين، وأن لا يستعلي عليهم مهما كانت درجة التزامه الديني"[40]. وهذا التوجيه مجال خصب محفز للإبداع الإعلامي في مختلف البرامج الحوارية وبرامج الأسرة، وبرامج المرأة، وبرامج الشباب حتى الترفيهي والمعرفي منها.

د- استقطاب أوقات فراغ الشباب:

يميل كثير من الشباب إلى قضاء أوقات الفراغ الكثيرة جدا في عالمنا العربي والإسلامي أمام شاشات التلفزة، وهي فرصة سانحة لجذبهم نحو البرامج والمواد الإعلامية النافعة والجذابة، فترسل من خلالها رسائل تثقيفية وترفيهية وعلمية، ترفع من مستواهم الثقافي والعلمي وتروح عن أنفسهم، بما يغطي مساحات واسعة من أوقاتهم، فلا تترك الفرص السانحة لمتصيدي مفاسد الفراغ والانشغالات الحقيقية والمفتعلة وتطويعها لمشاريع الفساد في الأرض والضلال عن المنهج الإسلامي القويم. وفي هذا الصدد يمكن التعاون بين القنوات الإسلامية والمؤسسات الثقافية والدينية في إنتاج وبث برامج موجهة أساسا للشباب وبمشاركتهم حضورا، وربما حتى اقتراحا للقضايا التي تشغلهم، وتبث عبر القنوات في أوقات ومناسبات الفراغ، كالعطل المدرسية والجامعية، وفي فصل الصيف وغيرها، على أن تكون أكثرها برامج تفاعلية نظرًا لنتائجها وفوائدها الإعلامية والتربوية، "فقد يفوق تأثير هذه البرامج ما نتصوره من نتائج، إذا خططت في ضوء المبادئ المقبولة لرعاية الشباب والتي تتسق أساسا مع خصائص مرحلة الشباب... ونزوعهم إلى تبني المثاليات. والرعاية الدينية للشباب يمكن أن تقدم لهم العديد من المبادئ والمثاليات على المستويين الشخصي والاجتماعي"[41].

هـ- استثمار الأشكال الإعلامية الأكثر قبولا لدى الجمهور:

مما يمكن استثماره بصورة مفيدة وفعالة في التأثير الإيجابي في فكر ومن ثمة سلوك الشباب، بما يحصنه ضد النزوع إلى الأفكار والمعتقدات الفاسدة، ومنها التكفير ـ ما يلي من البرامج:

1- البرامج الحوارية: فقد أثبتت جدواها وفعاليتها في عرض ومناقشة مختلف القضايا التي تشغل المجتمعات عمومًا أو فيئات محددة. لهذا تتنافس القنوات الفضائية وتتفنن في عرضها واستخدامها،

40- أسبار، **الشباب والالتزام الديني**، ص 21.

41- محمد علي محمد، **وقت الفراغ في المجتمع الحديث**، دار النهضة العربية، بيروت، ط 1، 1405هـ/ 1985م، ص311، 312.

والتنويه بها إعلانا وتقديما.

وفي وسع القنوات الفضائية الإسلامية استخدامها، والتنويع في أساليب وأشكال عرضها: برامج حوارية تفاعلية في قاعات العرض (استوديوهات) بحضور الشباب، أو من خلال التواصل المباشر والفوري مع برامج من قاعات العرض البرامجي التلفزيوني بوسائل الاتصال المتنوعة (هاتف، رسائل هاتفية، رسائل البريد الإلكتروني... وغيرها). مع ضرورة أن يشارك فيها إلى جانب الشباب علماء الشريعة الإسلامية والمتخصصون الذين يجمعون بين الخبرتين الشرعية والعلمية في مختلف مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية على وجه الخصوص، والخبراء وأصحاب الشأن من أولي الأمر والمسؤولين حسب القضايا المطروحة للنقاش. أما القائم بالاتصال لإدارة هذه البرامج فمن الضرورة بمكان أن يكون ملما بالقضايا المثارة، وقريبا من عالم الشباب وما يعتمل في عقولهم ونفوسهم، ومن الحريصين على أن تأتي الحلول والإجابات المقدمة للمشكلات والقضايا مؤطرة بسياج الشرع الحنيف، مستفيدة من خبرات ومعطيات المعرفة العلمية المعاصرة، فضلا عن إتقانه الإعلامي فنون إدارة الحوار ببراعة وجاذبية.

2- برامج حية تجمع بين الأداء الإعلامي التلفزيوني والإنترنت من خلال مواقع كـ: "الفيس بوك" والمدونات، يناقش أصحابها مع ذوي الخبرة والتخصصات الشرعية والعلمية مختلف الآراء والأفكار التكفيرية أو المفضية إليها.

3- برامج تعنى بالمواقع على الإنترنت للجهات والجماعات المتطرفة المغالية والتكفيرية لمناقشة ما تعرضه من أفكار وشبهات توقع بها السذج والبسطاء وذوي العثرات والأوضاع غير السوية من الشباب في أحابيل أفكارها وتهيؤاتها. إذ كثيرا ما يعرض الشباب المهتم أو المتوقع انجرافه وراء الغلو والتكفير، عن القنوات التلفزية الفضائية، لقلة ثقته بما تطرحه، أو واعتقاده مصادمتها لمعتقداته. خصوصًا بعد أن أخذ الإنترنت يشكل الفضاء الوسائطي الإلكتروني المفضل في هذا المجال. فمن المتوقع أن جهدا إعلاميا وعلميا كالذي اقترحناه يمكن أن يسهم بفعالية في جذب الشباب المهتم إليه، ويصحح أفكارهم ومعتقداتهم حول القضايا مظنة الغلو والتكفير، فضلا عما يمثله ذلك من تتبع عملي فعال لتلك المواقع وما تثيره من شبهات ومؤثرات هدامة.

4- برامج تلفزيونية تنتقل إلى المدارس والجامعات والبيوت لتطرح على الأرض ما تقدره من مسائل تشغل بال الشباب، ويمكن أن تكون ذات صلة أو تفضي إلى نزعات التكفير.

5- برامج تلفزيونية تتعرض بالمناقشة والتحليل للبرامج التعليمية وكيف تؤدي دورها البنائي الإيجابي في التحصين والنمو الفكري والأداء السلوكي الإيجابي في الحياة.

6- اقتحام عالم الدراما: ضرورة اقتحام القنوات الفضائية الإسلامية عالم الإنتاج الدرامي باعتباره من أفضل الأنواع الإعلامية فعالية في مقاربة الظاهرة وإفراغ الشحنات النفسية العاطفية المتعلقة بالظاهرة بصورة إيجابية منسجمة مع ضوابط الإنتاج الإعلامي الإسلامي، ولكي تكون بديلا حقيقيا من الناحية الإعلامية والفني لكثير من الأعمال الدرامية التي قدمت على الشاشة التلفزية العربية، والتي يؤخذ عليها أنها لم تتطرق "إلى أطر الحلول مواجهة الظاهرة (التطرف، العنف، التكفير) ولم تعط الاهتمام الكافي بعنصر مواجهة الفكر المتطرف بالمنطق والحجج المقنعة، فضلا عن سيطرة الأسلوب الخطابي والتوعية المباشرة لمواجهة الإرهاب مما يحد من فعالية تأثير المعالجة الدرامية في هذا الإطار"[42].

نخلص إلى أن ظاهرة التكفير تعد أهم مقدمات الغلو وما ينجر عنه من فساد وحرابة، لذا فالتفرغ لمعالجتها على الصعد المختلفة من باب استهداف الداء في أصله وجذره الذي إذا وفقنا لاستئصاله، فنكون قد وفرنا جهودا غالية وأوقاتا ثمينة تصرف فيما يعود على مستقبل الأمة في عاجلها وآجلها. وفيما بدا لنا أن الإعلام الإسلامي يمكنه أن يسهم بنصيب وافر في مواجهة ومعالجة الظاهرة، بأصالة واقتدار وفعالية، لكونه أفضل من يفهم الظاهرة على وجهها الشرعي، ويكتنز لها من العلاج ما هو نافع إن شاء الله تعالى. والله هو الهادي لأقوم السبل وأنفعها.

The Role of Islamic Satellite Channels in Strengthening the Position Against Accusing of Unbelief among Young people.

There are a lot of Islamic channels disseminating knowledge and views about Islam. However only some of them are able to project a moderate Islamic thinking. The latter are popular among the viewers in the Arab world. This popularity is reflected in the higher rates of viewing recorded by these channels steadily each year. Despite their short number, these few channels play a sobering role in orienting the perspective of youth who are exposed to dangers of extremism. The paper makes a critical assessment of these channels and highlights the significance of their contribution in moderating the religious attitudes of Arab youth.

****

42- هويدا مصطفى، "دور القنوات الفضائية العربية في تشكيل معارف الجمهور واتجاهاته نحو الإرهاب" المرجع السابق.